

الرواية الجزائرية المعاصرة وخصوصية التوظيف المكاني قراءة في رواية جسر للبوح وآخر للحنين
للكاتبة زهور ونيسي.

The contemporary Algerian novel and the specificity of space use: Reading in Zouhour
Wanissi's novel "Djir lil Bawh wa Akhar lil Hanin"

مسغوني الأمين^{1*}، حفري فاطمة الزهرة²

¹ جامعة الوادي، (الجزائر)، mesghouni.elamine@univ-eloued.dz

² جامعة الوادي، (الجزائر)، hofri-fzohra@univ-eloued.dz

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

تاريخ النشر: 2025/11/20

تاريخ المراجعة: 2025/10/25

تاريخ الإيداع: 2025/10/01

ملخص:

تحتفي الرواية الجزائرية بخصوصية التوظيف المكاني، إذ تعتمد على المكان في تناول مختلف القضايا وصياغتها، فالمكان يرتبط بالمجتمع كما يرتبط بالفرد الذي يعيش فيه، لذلك نجد أن طبيعة المكان زئبقية تناسب طبيعة الطرح الروائي، فالمكان يرصد ما يراه المبدع من أحداث وملابس واقعية كانت أم متخيلة ويصورها بالاستناد على معطيات الفضاء النصي الذي يتيح له تصوير أمكنة قادرة على استيعاب مختلف الرؤى الأيديولوجيات التي يعتقد بها الكاتب، لذلك من الضروري أن نخوض في بنية المكان وجماليته بوصفه من بين أقل البنى اهتماما ودراسة في النقد الأدبي، وعلى هذا الأساس كيف تجلّى المكان في رواية جسر للبوح وآخر للحنين؟

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية، المكان، الجمالية، جسر للبوح وآخر للحنين، زهور ونيسي

Abstract:

The Algerian novel is rich with space use, as it relies on it in tackling and formulating different issues. In this regard, the space is tightly linked to the society and its individuals. and has a mercuric nature that suits the nature of novels. It covers the imaginary and real events that the innovative people see and depict based on the textual space that allows for depicting places that can embrace the different ideological views of the author. Therefore, it is necessary to tackle the structure and aestheticism of space because it is not widely focused on in literary criticism. Based on what was said, we raise the following question, "how does space manifest in Zouhour Wanissi's novel "Djir lil Bawh wa Akhar lil Hanin"?"

Keywords: Algerian novel; space; aestheticism; Djir lil Bawh wa Akhar lil Hanin; Zouhour Wanissi

* المؤلف المراسل.

مقدمة:

ارتبطت الرواية الجزائرية بالواقع بشدة، وراحت تعبر عن طوائفه وملابساته وقضاياها الشائكة، فمثلت بذلك الجنس الأدبي القادر على تحقيق العلاقة بين الأدب ومجالات الحياة الأخرى: السياسية، الاقتصادية، النفسية، الاجتماعية... فقد ظهرت متأخرة في مقابل نظيرتها العربية والغربية على حد سواء، إذ عرقل سبب ظهورها وتطورها مختلف أشكال الاستعمار العثماني والفرنسي على الأرض، فقد كان الفرد الجزائري يحارب التواجد الكولونيالي متناسيا الجانب الفكري والمعرفي الذي من شأنه أن يساهم في تلك الحركات التحريرية ومساندة النضال السياسي والعسكري ضد التدخلات الخارجية خاصة بعد أزمة حزيران 1967 التي كانت سببا في استقبال الأنواع الأدبية والنقدية الغربية عساها تنقذ الواقع الفكري من الركود.

1-جماليات المكان في الرواية الجزائرية

1-1-المكان: قراءة في المفهوم والمصطلح

أ-لغة:

ورد مفهوم المكان في اللغة في معجم العين للفراهيدي بأنه من: "تقدير الفعل: مفعول، لأنه موضع للكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفاعل"¹، فالمعنى اللغوي يرمي إلى التوضع والاستقرار في فضاء معين.

ب-اصطلاحا

الرواية من أكثر الأجناس الأدبية التي تهتم ببنية المكان، إذ تعتمد على المكان في ترتيب الأحداث وتسلسلها تسلسلا منطقيا، تحقق هدف الكاتب من ذلك النص، فلا يصوغ الكاتب فكرة معينة خالية من فضاء يحوطها، فهي: "النثر الفني بمعناه العالي...والرواية عالم شديد التعقيد، متناهي التركيب، متداخل الأصول، إنها جنس سردي منشور لأنها ابنة الملحمة والشعر الغنائي والأدب الشفوي ذي الطبيعة السردية جميعا من أجل ذلك نلفي الرواية تتخذ لها لغة سهلة الفهم"²، والرواية تعتمد سلاسة اللغة وبساطتها مقارنة بلغة الشعر شديدة التعقيد والرمزية، لذلك ترتبط بالواقع وتلامسه وتعبر عن قضاياها ومتطلباته مثلما الشأن في الرواية الجزائرية. وعليه يعد المكان: "أهم المظاهر الجمالية الظاهرية في الرواية العربية المعاصرة"³، فالناقد يخشى أو يتفادى الخوض في بنية المكان في العمل الأدبي، لأنه سلس زئبقي يعسر تحديد مفهوم واضح له، لشدة ارتباطه ونقعه في مجالات مختلفة أهمها الاجتماعية والنفسية أيضا التي تنطلق من المكان كحافز للإبداع، ودليل ذلك ما يعتقده بحراوي في هذا الصدد الذي راح يقول: "وإذا كان الباحثون قد كتبوا كثيرا حول وظيفة الديكور أو الوصف فإن معرفتنا تظل ضئيلة، في الوقت الراهن، بتشكيل الفضاء المكاني الذي تجري فيه الحكاية، سواء أكان ذلك المكان واقعيًا محسوسًا أو كان مجرد حلم أو رؤية"⁴، فتتجلى جمالية التوظيف المكاني تحديدا في تمرده على الناقد والمبدع على حد سواء من خلال صعوبة الخوض فيه، وإن كان ينبغي: "أن نبحث في علاقة الأدب

قراءة في رواية جسر للبوح وآخر للحنين للكاتبة زهور وندي.

بالفضاء، وليس يدفعنا إلى ذلك أن من مواضيع الأدب ما نجد فيه من حديث عن الفضاء، ووصف للأمكنة، والمساكن والمناظر الطبيعية⁵، فالمكان وفق هذا الطرح مكان مفتوح يتجلى في الطبيعة والأماكن الرحبة المفتوحة التي لا ينغلق فيها المرء على ذاته أو على قضية معينة، وأماكن أخرى مغلقة مثل المنزل والمدرسة وغيرها التي تكون فيها للمرء خصوصية مقارنة بتلك الأماكن المفتوحة مثل المقهى والمستشفى، وعليه فالمكان قضية هامة وبنية أساسية من منظور نقاد الرواية، إذ من الضروري البحث عن خصوصية توظيف تلك الأمكنة بما يتناسب ومنظور المبدع.

2-المكان عنصر جمالي مهم في رواية جسر للبوح وآخر للحنين للكاتبة زهور وندي

أ-طبيعية المكان:

يبدو المكان ذو أهمية بالغة في الرواية، إذ يعد بنية أساسية لبلورة مختلف الأحداث والوقائع التي يسعى الكاتب إلى صياغتها في النص، فالرواية الجزائرية تعتد كثيرا ببنية المكان انطلاقا من تأثيره في سيرورة الأحداث واستمراريتها، إذ لا يعد مجرد: "حيزا جغرافيا أو بعدا هندسيا مجردا تقع فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات بأسرها: النامية والمسطحة على حد سواء فحسب أو عنصرا ثانويا زائدا في الرواية لا قيمة لوجوده، ولا وزن لحضوره، ولا دور لتأثيراته في العناصر الأخرى، بل هو ركن أساسي من أركان البناء، وعنصر حيوي فعال تزداد قيمة حضوره بتداخل عناصره معا في علاقات جدلية فاعلة، وجزء لا يتجزأ من البنيان الفني الذي يصور بجلاء مدى امتلاك الروائي الفنان لأدوات التشكيل الفني المميز في العمل الروائي"⁶، فالمكان يساهم في توطيد العلاقات بين مختلف بنيات النص الأخرى حتى تتواشج وينتج عنها هذا النص الروائي مثلما الشأن في رواية جسر للبوح وآخر للحنين الذي سعت فيه الكاتبة زهور وندي إلى إبراز الأماكن في الجزائر بين المفتوح والمغلق من جهة، والمكان ببعديه العاطفي والأسطوري أيضا من جهة أخرى من أجل التعريف بالأماكن وتصويرها للآخر، تقول: "هاهو اليوم يحاول أن يسرح بخياله مثلما كان يفعل هو مع رفاقه على سواحل "روسيكادا" هم يمرحون ويتمتعون بالسباحة والشمس، وهو يسبح في بحر من التأمل والخيال، بحثا عن حقيقة لا تزال إلى اليوم لم يعثر عليها، أو يعرف كنهها أو لماذا هو يبحث عنها"⁷، فالمكان الذي عمدت إلى ذكره في هذا المقام "سواحل روسيكادا" التي تدعى حاليا "سكيكدة" فالكاتبة تسعى إلى تسليط الضوء على الملاحة البحرية والاقتصاد في الجزائري من خلال الاهتمام ببنية المكان كونه قادرا على التأثير في المتلقي وجذبه للسياحة أو الإقامة عليه، فالشريط الساحلي الذي يبلغ طوله قرابة 1622 كم يحتوي على مختلف وسائل الجذب وتنشيط الاقتصاد المحلي الذي يثبت ارتباط الأدب بمختلف المجالات الأخرى، إذ: "يتنبأ المكان في الرواية على وجه الخصوص مشكلا بؤرة حاضنة للسرد وملاذا لا يكتمل العمل من دونه، وهنا تصدق على المكان النبوءة من خلال الاكتشاف والمغامرة الجمالية للنص الروائي"⁸، فالفضاء الروائي حاضنة الأفكار التي يسعى الكاتب إلى بثها، إذ يحدد المكان سياق إنتاج النص، ثم يحدد هندسة الكاتب في رسمه، ومن بعدها يحدد إيديولوجية القارئ وكيفية تلقيه لتلك الهندسة وما ينضوي تحتها من قضايا يحيط بها النص ويبرزها انطلاقا من مكان حدوثها.

ب-تاريخية المكان:

وفي مقام آخر تنتقل إلى شرق الجزائر تحديدا إلى مدينة قسنطينة التي تمثل مكانا تاريخيا عريقا يحمل في طياته أشكال الحضور العثماني والدايات في الجزائر الذين استوطنوا فيها قرابة القرن، تقول: "كانوا جميعا لا يشعرون أنهم معلقين مع الجسر، كانت سحناتهم تحمل تلك الابتسامة الغامضة، التي كانت تطبع أقنعة الفينيقيين الفخارية، أو ابتسامة "الموناليزا" التي حار المحللون في تفسير فحواها، وهل هي ابتسامة أسي أو ابتسامة سعادة، بشرى أمل أو نذير شؤم"⁹، فالجسور السبعة في مدينة قسنطينة تحمل مدى طول الفترة الزمنية التي أقامها الاستيطان على هذه الأرض، فكل حجارها تنبؤ بوجع الاستعمار وتأثيره السلبي على الفرد والمجتمع، فالمكان فضاء حي يشهد على بشاعة حضور الآخر في الأرض الذي تسبب في تدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فور خروجه.

وفي هذا الصدد، تبرز الكاتبة جانبا آخر للاستعمار وهو الاستعمار الثقافي الذي ترك بصمته في الجزائر ما بعد الاستعمارية، فتقول: "هاهي المطبعة، كانت وقت الاستعمار تطبع جريدة باللغة الفرنسية" لادياش"، واليوم كتبت على بابها كلمة "النصر" بالحرف العربي، جريدة الجزائر المستقلة، في هذه المدينة المتعددة الأصول والأبعاد، كان الحرف العربي سائدا، حتى أيام الاستعمار، عبر صحافة رائدة وفكر راق، نابع عن حركة النهضة الإصلاحية"¹⁰، فالاستعمار طال اللغة العربية وحاول طمس معالمها من خلال اعتماد اللغة الأجنبية في المعاملات ومختلف الموانئ والأماكن التي تساهم في زحزحة الهوية العربية والثوابت الاجتماعية التي تعتبر بمثابة بطاقة تعريف للجزائر في المحافل والبلدان الأخرى.

ج-تمثل الأسطورة في المكان:

وفي سياق جمالية التوظيف المكاني في الرواية الجزائرية؛ فقد سعت الكاتبة سعيا حثيثا إلى الحديث عن قيمة الجسور المعلقة في مدينة قسنطينة من الناحية الحضارية والسياحية والتاريخية، تقول: "يالها من تركة فكرية صعبة لا أقدر على التمرد عليها، ولا القفز عليها إلى تركات فكرية أخرى جديدة...قبل أربعين عاما حلمت حلمي بين أضلعي، وخرجت من باب جسورك العائمة في فضاء الأخيلة والأساطير، دون أن أدير رأسي إلى الوراء خوفا من الضعف والتردد"¹¹، ويبدو أن: "المكان الذي يمثل تراث أمة ما في زمن ماض بعيد، ويتجسم المكان التاريخي بالضرورة من خلال ما بنى الإنسان في الماضي على الأرض التي سكنها...وهو مقترن بالزمان ومرهون به كأي مكان آخر فقد احتشد الزمن والتاريخ في معظم الأمكنة التي تعرض لها الروائيون العرب"¹²، فحقيقة المكان تتجلى في مضمراته وعلاقته بالفرد الذي يربط العلاقة بين المكان والتراث والتاريخ وتتولد في ذاته رغبة في المكوث والبقاء والحنين عند الاغتراب لذلك الوطن الذي يمثل حقيقة الانتماء للإنسان، ذلك أن الأدب يعيش: "حالة انفتاح وتقارب كبيرين، فتتفاعل وتتمازج مع بعضها البعض، فكف الجنس الأدبي الروائي خاصة عن رسم حدوده لينشغل بربط علاقات تبادل ومصاهرة مع أجناس أخرى تتقارب معه في الرؤية والشكل، سواء أكانت أدبية (قصص، أشعار، قصائد، مقاطع كوميدية) أو غير أدبية (كالتحليل النفسي، نصوص دينية،

قراءة في رواية جسر للبوح وآخر للحنين للكاتبة زهور وندي.

وأسطورية..¹³، فتواشج العلاقات الروائية مع مختلف مجالات الفن الأخرى ساهم في اندفاعها بقوة إلى عالم التطور الهائل الذي عرفته خاصة في الآونة الأخيرة، نتيجة لانفتاحها على التراث والتاريخ والعلوم والفنون بمختلف امتداداتها.

أما في علاقة المرء بالمكان فتتجلى في قول الكاتبة زهور وندي: "قابلت بعدك ألف مدينة ومدينة، لكنها كانت تختلف كل مرة، اختلفت معي، مع خطواتي الحاملة، إنها لا تحمل لا حلي الصغير ولا حيي الكبير، ولا هناء نفسي وأنا أتجول في الشوارع الرحبة للألف مدينة ومدينة، والجمال يحتضني من كل مكان، لقد كان أضيق زقاق من أزقتك في ذاكرتي يبدو لي أرحب وأجمل وأعطر"¹⁴، فالمكان قيمة مجردة ولملموسة في الآن نفسه، فلا يوجد كيان خارج معطيات المكان، الذي يحتوي كل الكائنات في رحابه، فهو: "يعكس شدة تغلغله في كيان الفرد هو أنه المنطلق لتفسير كل تصرف، فلا يحكم على سلوك الإنسان إلا من خلال وجوده في المكان، فما يتبدى في مكان ما أنه غير لائق، قد لا يبدو كذلك في غيره من الأمكنة"¹⁵، فالمكان ينفث على العاطفة الجياشة للأفراد الذين يقطنون فيه، فتربط بينهما علاقة حنين ورغبة، تثير الفرد تجاه هذا الوطن الذي يعيش فيه أو الذي نشأ فيه، لقد برته على صناعة ماضي الإنسان وحاضره.

وفي مقام آخر تربط الكاتبة المكان بالبعد الأسطوري الذي تمكنت فيه من أنسنة المكان وتمكينه من امتلاك قوى خارقة تتحكم في مصير الإنسان وتصنع ذكرياته وآماله، فتقول: "حبال جسورك تحاول خنقي، تشد وتشد على عنقي بقوة ليالي الغياب الشتوية الطويلة، وأزقتك الخلفية تقبض بضيقها ورطوبتها على صدري، وبأثار المجد والردوم تضايق أنفاسي..¹⁶"، فالرمزية العميقة التي قامت بها الرواية توضح صدق العلاقة بين الفرد والمكان الذي نشأ فيه، لذلك يعده إنسانا فيه روح يحس بغربة الفرد واغترابه، فالأسطورة: "شكل لغوي رمزي، تتضمن في داخلها الحقائق التاريخية، أو الأدبية، أو الدينية، أو الفلسفية، ولكن على شكل رموز، ثم استيعابها السردية"¹⁷، فالبنية السردية تستقبل في رحاب اهتمامها كل ما من شأنه أن يساهم في حيوية النص الروائي، ويمده بالسيرورة والحياة، مقابل بعض الأجناس التي أفلت بسبب انغلاقها على سياقات أخرى، تضيف الكاتب في هذا السياق: "الحديث مختلف معك، وأنت المدينة الوحيدة في العالم التي تحسن الحديث والبقاء والأنين، أليس كذلك يا مدينة النسيج الحضاري المتناسق الألوان، العميق الأبعاد، الموحد الآمال؟"¹⁸، فمميزات المكان وخصوصيته مكنته من التوغل في أعماق الذات والتأثير فيها بشدة، لدرجة أنسنتها والتعلق بها روحيا وعاطفيا إلى درجة استلهاام المتلقي له.

ومن بين مقامات التوظيف الرمزي ما يلي: "هاهو كمال العطار لا يزال يملك غرفتين في مكان ما من المدينة، رغم الأزمة السكنية التي يعاني منها الناس، لقد تصور وهو يدخل بيته أنه يملك المدينة كلها، بفضائها وشوارعها العريضة وحاراتها الضيقة، ودروبها الجبلية بالكثير من الأسوار والخبايا والأساطير، ويملك حتى جسورها المعلقة، وقد تشابكت حبالها مع شرايين مخه"¹⁹، ففي هذا المقام ذاته تحولت الأسطورة إلى: "مكون أساسي من مكونات الكتابة الروائية.. لأن الأسطورة بطبيعتها التكميلية، تشتغل عبر الترميز.. فقد اعتمدها

قراءة في رواية جسر للبوح وآخر للحنين للكاتبة زهور وندي.

الكاتب في أسطورة بنيته السردية، مستلهما هذه الخاصية من قول رولان بارت "إن كل شيء يمكن أن يكون أسطورة"²⁰، فالرمزية تكمن في حقيقة الأمر في الخطاب الذي يقيمه الشخصية البطلة "كمال" مع قسنطينة المدينة (دروها الحبل) التي تحولت بفعل التقنيات السردية والضرورة الفنية إلى إنسان يشعر بهوموم هذا الرجل المغترب عن مدينته أربعون سنة كانت كافية لكي تثير الحنين والرغبة في العودة إلى أحضانها فقد جمعت الروائية بين المكان المفتوح (المدينة) والمكان المغلق (غرفتين) حتى تصنع جدلية مكانية تنفتح وتنغلق في الآن نفسه والمقام نفسه، ثم يقول: "مدينتي، نظراتك لي وأنا أنزل على أعتابك كانت ساهمة، لكنها كانت كافية لإشعال الحنين الخامد، لقد شعرت فجأة بالبرد والجفاف، أتعرفين لماذا؟ أنا أيضا لا أعرف لماذا وكيف؟ لكنني عادة عندما أحس بذلك أحاول أن أحضنك إلى صدري حلما حيا أبدا"²¹، فالمكان يلعب دورا كبيرا في حضور الأشكال الرمزية والطبيعية والأساطير في الأدب بصفة عامة والرواية خصوصا، ويستقبل في رحابة حرية التأويل وتفسير دلالاته حسب سياق التلقي الذي يتحكم فيه المتلقي الذي يسعى إلى مقارنة النصوص عبر ثقافة موسوعية بثقافة المكان وخصوصيته في الرواية والواقع على حد سواء.

د-شعبية المكان:

تنتقل الكاتبة بسلاسة في توظيف المكان إلى إدراج الشوارع الشعبية بوصفها جزء هام جدا في الثقافة المكانية الجزائرية، إذ تحم حقيقة الثقافة المحلية وتعبر عن كيانها، تقول: "كان كمال قد قابلها يوما في أحد الشوارع أمام أحد دكاكين صاغة الذهب الكثيرين، في "رحبة الصوف" بالمدينة، كان ينظر إلى واجهة أحد المحلات، وقد تزينت بأجمل قطع الحلي الذهبية المصنوعة محليا بذوق وإتقان"²²، ف (رحبة الصوف) من أهم شوارع المحورية في قلب مدينة قسنطينة التي تمثل ثقافة الفرد الجزائري في مدن الشرق، فهو شارع مختص في صناعة الصوف وغزله وبيعه في واجهة هذا المضيق، وهي من بين الشوارع الجزائرية التي تحتاج إلى الترميم للحفاظ على تراث الجزائر وتاريخها، فقصد الكاتبة من إدراجها رغبة في لفت الانتباه إلى هذه الأحياء المهمشة.

أضف إلى ذلك شوارع القصبة العالية في شمال الجزائر التي تعاني هي الأخرى من التهميش على مستوى النظافة والهندسة أيضا نظرا لصمودها أمام مختلف البرائن الاستعمارية على الجزائر العاصمة، تقول: "إنه سيرجع إلى أعالي القصبة كما دخلها في هذا الصباح"²³، فالقصبة مكان تراثي تاريخي يعود إلى الحضور العثماني والحضارات التاريخية التي تركت بصمتها في الوطن مثل الهندسة العثمانية على مختلف أبوابها الخشبية الصلبة والنقوش الإسلامية الفنية وفق بنية زخرفية قديمة ذات مهارة عالية تستقبل زوارها من مختلف بلدان العالم، فرغم عتاقة القصبة تبقى من أهم الأماكن الجزائرية المفتوحة على مختلف الثقافات الوافدة منذ آلاف السنين حتى الراهن، فتلك الشوارع الشعبية تبين منبع الثقافة الجزائرية وتعلقها بالمكان، إذ يفتخر أبناء المنطقة بانتمائهم لها وإقامتهم فيها منذ عقود.

قراءة في رواية جسر للبوح وآخر للحنين للكاتبة زهور وندي.

ومن أهم الشوارع التي تحمل في طياتها جماليات التوظيف المكاني تذكر الكاتبة: "سلاالم المدينة المبنية بالحجر الأزرق المستقيمة حيناً، والمنحنية المتكسرة حيناً آخر، توصله إلى أسفل "السويقة" لينحدر بسرعة، وكان قوة خفية تدفعه دفعا إلى الأسفل، وتزحلقه دون إرادة منه"²⁴، فالزائر إلى قسنطينة يمر على حي السويقة الضيق الذي يحمل عراقة قسنطينة وتاريخها، إذ يعتبر ارتباط السرد بالتاريخ: "لتوليد دلالة جديدة باعتماد تقنية تحيين الزمن والانفتاح على الذاكرة، فتحول السرد بذلك إلى تاريخ من نوع خاص مواز للأحداث التاريخية التي مرت بها الجزائر"²⁵، فالتاريخ يحمل صور التضحيات والانتصارات التي حققتها الجزائر ضد مختلف تدخلات الدول الغربية لاستغلال الثروات الطبيعية والملاحة البحرية وغيرها.

وتنتقل إلى حي سيدي عبد المؤمن فتقول: "يشعر كمال بالرجال داخل ما يسمى بـ "فندق بن عزوز" بحي "سيدي عبد المؤمن" والذي ينتهي إلى "الرميس" وادي الرمال، كان الرجال يجلسون حلقة حول نغم من "الكمنجة" و"الناغرات" ونفس من أنفاس "الكيف" وهو يأخذ بصحوة عقولهم نحو الارتخاء والهدوء والراحة"²⁶، فلا تنفك الشوارع الشعبية تحضر في النص الروائي الموسوم "جسر للبوح وآخر للحنين" الذي يعتد بالأماكن وحضورها المركزي في العمل الأدبي باعتبارها أماكن: "تنسم بالتنوع، فإستراتيجية بناء المكان أخذت بعدا شاعريا وجماليًا يوحي بالنسيج المحكم الذي اعتمدته الكاتبة"²⁷، فالكاتبة تعمد إلى غلق المكان وفتحه بين الفينة والأخرى، حتى تحطم رتابة تلقي النص وتعتمد إستراتيجية جمالية ذات أبعاد اسطورية، تاريخية، نفسية تخلق جوا شاعريا في سياق التلقي، فتقول: "ليصبح وجه الحبيب نقطة في بحر الوطن، وتصبح المدرسة وما تلقنه من دروس جزءا صغيرا ثانويا في كل عظيم لم نعرف عنه قبل ذلك شيئا إلا من خلال دروبك الضيقة، وقضايك المعقدة، وأهدافك المولودة مع كل فجر صافية تزيل كل ضباب الأمس والغد"²⁸، فمن بين تلك الأماكن الفضاء المجرد المحسوس الذي يصنع ماضي الإنسان وحاضره، ف: "تتعلق في هذه الرواية الذات والوطن إلى حد التوحد والالتباس"²⁹، إذ يمتلك البطل (كمال) علاقة مباشرة مع مدينته (قسنطينة) التي ظلت هاجسا يراوده للعودة إلى أحضانها بعد اغترابه المطول، على اعتبار أن الاغتراب رحيل جغرافي ووجداني في الآن نفسه.

خاتمة:

يعتبر المكان بطلا في مختلف الروايات الجزائرية، إذ يمثل قاسما مشتركا أكبر يعتمد عليه الروائيون للكشف عن مختلف الأبعاد السياحية والإمكانات الاقتصادية في الجزائر التي يروج لها المكان، باعتباره بنية تسعى بالدرجة الأولى إلى ربط الأدب بالواقع الذي أنتجه.

قراءة في رواية جسر للبوح وآخر للحنين للكاتبة زهور ونيسي.

تعد بنية المكان من أهم البنى التي تستوجب اهتمام النقاد بطابعها الزئبقي الملائم لبنية السرد، كونه هو الآخر غير خاضع لقواعد معينة تحد من سيرورة امتداده وتطوره، إذ يتطور علم السرد بصورة كبيرة مقابل الأجناس الأدبية الأخرى التي تكاد تبقى على شاكلتها بسبب القواعد التي تحكم بنيتها الشكلية والموضوعاتية.

انفتح المكان وتنوع بين الطبيعي والأسطوري، المغلق والمفتوح، المجرد والملموس، وكل مكان من هؤلاء يمتلك بعدا جماليا يساهم في تحريك أحداث الرواية وبلورتها.

يوطد المكان العلاقة بين الأدب والواقع، فالواقع يمثل ذلك المكان التي تجري فيه الأحداث السردية من جهة، ثم يبرز دور هذه العلاقة الجدلية في خدمة الراهن ومعالجة قضاياها.

هوامش وإحالات المقال

¹ عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري: العين، تح: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، 2003، ص 790.

² عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 25.

³ شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 1، 1994، ص 10.

⁴ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 990، ص 25.

⁵ جيرار جينات وآخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، 2002، ص ص 12/11.

⁶ سمية الشوابكة: المكان الروائي في أعمال محمد جبريل، ص 02.

⁷ زهور ونيسي: جسر للبوح وآخر للحنين، دار زرياب، الجزائر، 2006، ص 09.

⁸ جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، دار غيداء للنشر، عمان، ط 1، 2015، ص 09.

⁹ جسر للبوح وآخر للحنين، ص 09.

¹⁰ مصدر نفسه، ص 10.

¹¹ م ن، ص 16.

¹² جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، م س، ص 59.

¹³ نوال بومعزة: مظاهر التجريب وآلياته في الرواية العربية الجزائرية الجديدة، دار ألفا للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2022، ص 186.

¹⁴ زهور ونيسي: جسر للبوح وآخر للحنين، ص 17.

¹⁵ جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، م س، ص 81.

¹⁶ زهور ونيسي: جسر للبوح وآخر للحنين ص 25.

¹⁷ نوال بومعزة: مظاهر التجريب وآلياته، م س، ص 187.

¹⁸ زهور ونيسي: جسر للبوح وآخر للحنين ص 18.

¹⁹ م ن، ص 27.

²⁰ نوال بومعزة: التجريب الروائي وآلياته، م س، ص 187/188.

²¹ زهور ونيسي: جسر للبوح وآخر للحنين، ص 36.

²² م ن، ص 39.

²³ م ن، ص 61

²⁴ م ن، ص 48.

²⁵ نوال بومعزة: مظاهر التجريب وآلياته، م س، ص 174.

²⁶ زهور ونيسي: جسر للبوح وآخر للحنين، ص 57

²⁷ نوال بومعزة: مظاهر التجريب وآلياته، م س، ص 370.

²⁸ زهور ونيسي: جسر للبوح وآخر للحنين ص 63.

²⁹ المرجع السابق، ص 371.